© ٢٠١٥ مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن
عدد خاص (٧-ب)، ديسمبر ٢٠١٥م، ص٢٠١-٤٤

المنهج الدَّعوي عند ابن عاشور: سورة الأنعام أنموذجًا(*)

فرزانة بلالي بنادري[١] و محمد زراسي[٢] و إيمان كنعاني[٣]

ملخص(**)

لقد استهدف هذا البحث استجلاء منهج الإمام ابن عاشور في سورة الأنعام، وإبراز أهم خصائصه التي تجليه عن غيره من أنواع التفسير الأخرى. واعتمادًا على المنهج التحليلي – التوصيفي بيّنت الدراسة بأنّ ابن عاشور بنى تفسره على أساس المصادر التفسيرية من التفسير بالمنقول، والتفسير بالمعقول، ومن ضمن هذا اعتناؤه في سورة الأنعام بالتفسير الموضوعي، خصوصًا الموضوعات التي تتعلق بالعلوم القرآنية، والقضايا الدعوية. وقد توصّلت الدراسة إلى أن ابن عاشور بنى المنهج الدعوي في سورة الأنعام على التدرّج الحواري بالاعتماد على إعلان أصول الدين، والجدل والمناظرة، والتبيين، وعلى إصلاح العقيدة باصلاح الحالة الاجتماعية، ونظام التعامل، واتّباع طريق الإسلام وتجنب الخروج إلى الضلال، وكذلك على إثبات الصفات العالية الخاصة لله عزّ وجلّ.

كلمات دالّة: منهج إبداعي، دعوة، علوم القرآن، مسائل فقهية.

---

* How to cite this article: Farzaneh Balali *et al.* (2015). "Al-Manhaj al-Da'awī 'inda Ibn 'Ashūr: Surah al-An'ām Unmūzajan", QURANICA Special Issue 7b, (2): 201-214.

[١] فرزانة، طالبة دراسات عالية، الجامعة العالمية الإسلامية– ماليزيا. Farzaneh.balali@gmail.com

[٢] زراسي، طالب دراسات عالية، الجامعة العالمية الإسلامية– ماليزيا. mzar59@yahoo.com

[٣] كنعاني، طالب دراسات عالية، جامعة ملايا، أكاديمية الدراسات الإسلامية، iman200720@yahoo.com

(**) **Acknowledgments:** This article is sponsored by Wisdom and Knowledge Club, Supreme Council for Sunni Islamic Institutes in South of Iran (Malaysia Office-IIUM), (Grant No: SCSIIRG Program, WKC-15002-9436).

١. مقدمه

يعد علم التفسير من أجَلِّ العلوم وأنفعها وأشرفها لتعلقه بالقرآن الكريم، فشرف العلم بشرف المعلوم. ولما كان الأمر كذلك، بذل علماء الإسلام جهدهم في شتى أقطار العالم لدراسة كلام ربِّ العالمين فأفنوا أعمارهم، ونذروا حياتهم لخدمة الكتاب المبين حتى استخرجوا دُرَرَه، ونَهِلوا من معينه، وطبقوه في واقع حياتهم، واكتشفوا من سلسبيله العذب، وكان من بين هؤلاء المشاعل المضيئة، والكواكب النَّوارة، العلامة محمد الطاهر ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) صاحب التفسير المشهور المعروف باسم "**التحرير والتنوير من التفسير**"، فقد أفنى فيه ثمرة وقته، وعُصارة ذهنه، وأودَعه من المباحث المفيدة، والأقوال المحرَّرة حتى صار مرجعاً جامعًا مليئاً بالفوائد والعلوم.

٢ أهم المصادر التي اعتمد عليها ابن عاشور في تفسيره

٢,١ تفسير القرآن بالقرآن

لذكر أهمية هذا النوع من التفسير تجدر الإشارة إلى أقوال العلماء بأنّ تفسير القرآن بالقرآن من أبلغ التفاسير[١]. والناظر في القرآن يدرك أن فيه الإيجاز والإطناب، والإطلاق والتقييد، والعام والخاص، والمبهم والمبيِّن، فكان لزامًا على من أراد تفسير القرآن الكريم أن يبدأ قبل كل شيء في جمع كل ما تكرر في موضوعٍ واحدٍ من ذكر الحادثة أو القصة، ويقابل الآيات بعضها ببعض، ليستعين بما جاء مسهباً على معرفة ما جاء موجزاً، ويفهم ما جاء مبهماً بواسطة ما جاء مبيّناً. وليحمل العام على الخاص، والمطلق على المقيد وبهذا يكون قد فسر القرآن بالقرآن[٢].

ومنهج هذا النوع من أنواع التفسير حاضرٌ وجليٌّ عند ابن عاشور، "حيث نرى ابن عاشور يستعين بتفسير القرآن بالقرآن في تفسير سورة الأنعام في معنى لفظة أو تحديد دلالتها، أو توضيح الحكم، أو جمع تفاصيل قصة من القصص القرآني، أو دفع لما يوهم التعارض بين بعض الآيات، أو حمل بعض

---

[١] الجوزية، محمد بن أبي بكر بن قيم. (١٤١٦هـ). **التبيان في أقسام القرآن**. التحقيق: عصام الحرستاني، تخريج محمد الزغلي. القاهرة: مؤسسة الرسالة ،ط١/ ١٨٥.

[٢] المحتسب، عبدالمجيد عبدالسلام. (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م). **اتجاهات التفسير في العصر الراهن**. (عمان-الأردن: مكتبة النهضة الاسلامية، ط٣) ص٧١.

الكلام على بعض، كتخصيص العموم، وتقييد المطلق، وبيان المجمل، وتأويل الظاهر، وفي جهة تبيين موضوع وتعيين مصداق. ودلالة الاقتضاء، وفحوى الخطاب، ولحن الخطاب، ومفهوم المخالفة"[١].

"ومن أمثلة ذلك ما ذكره في معنى "إهلاك القرى" في قوله تعالى: ﴿ذلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ وَأَهْلُها غافِلُونَ﴾ (الأنعام:١٣١)، والإهلاك: إعدام ذات الموجود وإماتة الحى. قال تعالى: ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال: ٤٢) فإهلاك القرى إبادة أهلها وتخريبها، وإحياؤها إعادةُ عُمرانها بالسكّان والبناء"[٢].

ولاستعمال تفسير القرآن بالقرآن دور بارز في تفسير ابن عاشور، حيث اعتمد عليها في مواطن كثيرة في تفسيره.

٢,٢ التفسير بالمأثور:

"السنة النبوية هي المصدر الثاني لتفسير كتاب الله؛ لأن الله بيَّن أصول الشريعة في كتابه، فالرسول ﷺ فسر هذه الأصول وشرح الأحكام وبيَّن المسائل، كبيان مقادير الزكاة، وأوقاتها وأنواعها، وغير ذلك مما ورد في القرآن مجمل وبيَّنتهُ بالسنة".[٣]

شغل الحديث النبوي مكانة كبيرة في "التحرير"، وأخذ أشكالًا عديدة في الإسناد والمتن، كما تعددت مصادره، وكان أكثرها شيوعًا: الصحيحان، يليهما موطأ الإمام مالك[٤]. وحرص ابن عاشور في

---

[١] صقر، أحمد نبيل. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). **منهج ابن عاشور في التفسير**. القاهرة: الدار المصرية ٥٥/١.

[٢] ابن عاشور. محمد الطاهر. (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) **التحرير والتنوير** بيروت: مؤسسة التاريخ، ٦٢/٧.

[٣] يعقوب، طاهر محمود محمد. (١٤٢٥هـ) **أسباب الخطأ في التفسير**. مكتبة العربية سعودية: دار ابن الجوزي، ٥٥-٥٦.

[٤] نبيل، أحمد صقر. (١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م)**منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير**، القاهرة: الدار المصرية، ص٦٠.

هذا المجال على أن يشير إلى مصدر الحديث عند الاستعانة به، مكتفيًا أحيانًا باسم الراوي الأول له، وأحيانًا يذكر حديثًا أجمع عليه رجال الحديث، ثم يذكر اسم الراوى الأول له.[١]

وقد يكون جزءٌ آخر من منهج ابن عاشور في سورة الأنعام استناده على أقوال الصحابة والتابعين، فقد "كان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من أعظم الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه، ولا ذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وجده"[٢].

فصحابة الرسول ﷺ هم الذين سمعوا منه مباشرة وتناوبوا هذا السماع وشاركوا في مجالسة وغزواته وشاهدوا أحواله وأفعاله، والمقصود هنا التفسير الذي لا يدرك بالرأي، ولا يستقل العقل بدراية.

٢,٣ التفسير بالرأي

الرأي يطلق في اللغة على الاعتقاد، والعقل، والتدبير[٣]. ويطلق في الاصطلاح على الاجتهاد. ومنه أطلق على أهل الفقه: أصحاب الرأي[٤].

ومن الأمثلة التى تتصل بالأحكام، ما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورةالأنعام:١٥١)، "ومن المفسرين من فسَّر الفواحش بالزنا، وجعل ما ظهر منها ما يفعله سفهاؤهم فى الحوانيت وديار البغايا، وبما بطن اتخاذ الأخدان سراً، روى هذا عن السدي، وروي عن الضحَّاك وابن عباس، كان أهل الجاهلية يرون الزنا سرًا حلالًا، ويستقبحونه فى العلانية، فحرَّم الله الزنى في السر والعلانية، وعندي أن

---

[١] صقر، أحمد نبيل. **منهج ابن عاشور في التفسير**:١/٦١.

[٢] ابن تيميه. (١٤١١). **رسالة الفرقان بين الحق والباطل**. ضمن مجموعة الرسائل الكبرى تحقيق: الشيخ حسين غزال. (بيروت: دار إحياء العلوم، ط٤). ١/١٩-٢٠.

[٣] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرك الإفريقي المصري. (١٤١٢) **لسان العرب**: (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ط١)١٤/٣٠١ مصطفى إبراهيم وأصحابه. (١٤٠٠). **المعجم الوسيط**. (مجمع اللغة العربية بمصر: دار المعارف، د.ط) ١/٣٢٠. مادة: (رأي).

[٤] يعقوب، طاهر محمود محمد. **أسباب الخطأ في التفسير**: ص.٦٦

صيغة الجمع في الفواحش ترجح التفسير الأول، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ (النجم:٣٢)[١]".

٢,٤ التفسير اللغوي

مما يلفت النظر في تفسير ابن عاشور أنه كان يعتز باللغة العربية ويتفاخر بها، ويبين في تفسيره الآيات الكريمة معاني المفردات، كما اهتم بالمسائل النحوية والصرفية، وقد اهتم بالقصص القرآني، واعتمد على المسائل اللغوية في بيان الأحكام الشرعية، وكان تفسيره حافلاً بدقائق البلاغة ونكت أفانينها. ومن منهجه في تفسيره أيضاً ذكر الشواهد على بعض المسائل من أقوال العرب وأشعارهم، وقد اهتم بالمثل العربي في تفسيره، ومن خصائص تفسيره أنه أطال الكلام أحياناً في تفسير الكلمات أو المعاني المبهمة التي خرجت عن حد التفسير وهي كثيرة. فابن عاشور أحد المفسرين الذين أولوا المعنى عناية بالغة في إعرابهم للقرآن الكريم[٢]. وفي الفقرات الآتية عرضٌ لمقومات التفسير اللغوي عند ابن عاشور:

٢,٤,١ استشهاده بالشعر

اعتمد ابن عاشور في تفسيره على الاحتجاج بالشعر العربي في تبيين غرائب القرآن وبعض الاستعمالات اللغوية عند العرب، وقد أكثر ابن عاشور في ذكر الشواهد الشعرية في العصر الجاهلي. ومن أمثلته ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام:٣٢)، قال: "وقد أفادت صيغة ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ قصَر الحياة على اللعب واللهو، وهو قصر موصوفٌ على صفة. والمراد بالحياة الأعمال التي يحبّ الإنسانُ الحياة لأجلها؛ لأنّ الحياة مدّةٌ وزمنٌ لا يقبل الوصف بغير أوصاف الأزمان من طول أو قصر، وتحديد أو ضدّه، فتعيّن أنّ المراد بالحياة الأعمال المظروفة فيها. واللعب واللهو قوة في الوصف؛ لأنّهما مصدران أريد بهما الوصف

---

[١] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**: ١١٩/٧.

[٢] حسين، محمد نعمان. (٢٠١٤م.). **الاتجاه اللغوي في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور**. مجلة القسم العربي جامعة بنجاب، لاهور – باكستان. العدد الحادي والعشرون.

للمبالغة، كقول الخنساء: فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدبَارٌ. وهذا القصر ادّعائيٌّ يقصدُ به المبالغة؛ لأنّ الأعمالَ الحاصلة في الحياة كثيرةٌ، منها اللهو واللعب"[١].

٢,٤,٢ اعتماده قواعد العربية

"استفاد ابن عاشور في التفسير اللغوي من قواعد العربية لفهم معاني القرآن والقواعد العربية التي تشمل: التصريف، والنحو، متن اللغة، المعاني، البيان ومن وراء ذلك استعمال العرب المتّبع من أساليبهم فى خطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغائهم"[٢]، ومن أمثلته: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ (الأنعام: ٧٠). والدّين في قوله: ﴿اتَّخَذُوا دِينَهُمْ﴾ يجوز أن يكون بمعنى الملّة، أي مايتديَّنون به وينتحلونه ويتقرّبون به إلى الله، كقول النابغة:

مَحَلَّتُهم ذاتُ الإله ودينُهم قَويم فما يرجُون غيرَ العَوَاقِب.[٣]

٢,٤,٣ اعتماده وجود علم البلاغة

مكانة البلاغة في تفسير ابن عاشور بارزةٌ جدًا، حيثُ خصَّ لها قسمًا في مقدمة تفسيره "المقدمة العاشرة من المقدمات"[٤] وذكر بأن تفسير معاني القرآن لا يبلغ حد كماله إلا باستخدام البلاغة، واعتمد عليها، حيث قال: "إن مفسّر القرآن لا يعد تفسيره لمعاني القرآن بالغًا حد الكمال في غَرَضه ما لم يكن مشتملًا على بيان دقائق من وجوه البلاغة في آيه المفسرة بمقدار ما تسموا إليه الهمَّة من تطويل واختصار"[٥].

وأمثلة البلاغة في تفسيره كثيرة، فمن ذلك ما جاء عند قوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِها هؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ﴾ (الأنعام: ٨٤)، ذكر ابن عاشور بأنّ كلمة هؤلاء إذا لم يرد بعدها

---

[١] ابن عاشور **التحرير والتنوير**:٦٩/٦.

[٢] أحمد نبيل، **منهج ابن عاشور في التفسير**: ١٦٢/١-١٦٣.

[٣] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**:١٥٧/٦.

[٤] نفسه، ج١، ص ١٠١.

[٥] نفسه، ج١، ص ٤٧.

عطفُ بيان يبين المشار إليهم، فإنّها يُرادُ بها المشركون من أهل مكّة[١]. وذكر هذا المثال تحت عادات القرآن، وذكر بأنه يحقُّ للمفسر أن يتعرّف عادات القرآن من نظمه، وكلمه[٢].

٤ منهجه الدعوي

كما أشرنا فيما مضى، قضية الدعوة تدخل تحت التفسير الموضوعي، ولكن لما كانت هذه السورة تشتمل على المباحث الدعوية المهمة من جانب، واهتمام ابن عاشور بالدعوة، وإبراز منهجه الإبداعي المتميزة من جانب آخر، فقد وضعنا هذا العنوان منفصلًا بوجه خاصٍّ. وقد قسّمناه إلى ثلاث فقرات؛ الأولى: الحوارات المختلفة. الثانية: قواعد العقيدة في الدعوة. الثالثة: إثبات صفة العلم والقدرة لله عزّ وجلّ، والعلاقة بينهما وبين الدعوة.

٤,١ الحوارات المختلفة في سورة الأنعام

توصل ابن عاشور إلى نظرية في الحوار من خلال سورة الأنعام بأسلوب التدرج الحواري.[٣] وأشار إلى أن إبراهيم عليهم السلام استفاد من هذه النظرية في مواقع مختلفة، وفي هذا الصدد قال الشنقيطي: "وأسلوب التدرج بإثبات صفات كمال الله هو من الأساليب المؤثر في مجادله غير المؤمنين"[٤]. وقد أوضح ابن عاشور من خلال هذه السورة أن للحوارات مراحل وخطوات لا بد من اتباعها بالترتيب حتى تكون الدعوة صحيحة ودقيقة. وفيما يلي بيان هذه المراحل والطرق الثلاثة:

الطريقة الأولى: منهج الاستدلال مع الجدل والمناظرة. ذكر ابن عاشور منهج الاستدلال مع الجدل في تفسير الآية الثانية من سورة الأنعام بعد إنكار المشركين للبعث، فقال:"وهذا القدح في استدلالهم يسمى

---

[١] نفسه، ج١، ص ١٢٥.

[٢] نفسه، ج١، ص ١٢٤.

[٣] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**: ٦/٤٠.

[٤] الشنقيطي، سيد محمد ساداتي. (١٤٠٦هـ/١٩٨٩م). **أصول الإعلام وأسسه**. الرياض: دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، د.ط. ج١ص٤٦.

في اصطلاح علم الجدل القول بالموجب، والمنبّه عليه من خطأ استدلالهم يسمى فساد الوضع"[١]. وهكذا قال في تفسير الآية الخمسين: "استئناف ابتدائي: للانتقال من طريقة الجدل والمناظرة في إبطال زعمهم، إلى إبطاله بطريقة التبيين"[٢]، ويكون أبرز مثال في هذا المنهج الذي يشير إليه ابن عاشور هو منهج إبراهيم عليه السلام. ذكر ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الأنعام: ٧٤) في دعوة إبراهيم مع أبيه "عطف على الجمل السابقة التي أولاها ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ (الأنعام:٦٦) المشتملة على الحجج والمجادلة في شأن إثبات التوحيد وإبطال الشرك، فعُقّبت تلك الحجج بشاهد من أحوال الأنبياء بذكر مجادلة أول رسول أعلَن التوحيد وناظر في إبطال الشرك بالحجّة الدامغة والمناظرة الساطعة، ولأنَّها أعدل حجَّة في تاريخ الدين إذ كانت مجادلة رسول لأبيه ولقومه، وكانت أكبر حجّة على المشركين من العرب بأنّ أباهم لم يكن مشركاً ولا مُقِرّاً للشرك في قومه، وأعظم حجَّة للرسول ﷺ إذ جاءهم بالإقلاع عن الشرك"[٣]. ذكر ابن عاشور المنهج الاستدلاليَّ مع الجدل والمناظرة من طرق مختلفة، منها:

أ–الاستدلال بالتقرير. قال تعالي: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ (الأنعام:١٢)، قال ابن عاشور في تفسير هذه الآية: "إن هذا الاستدلال تضَّمن استفهاماً تقريرياً وقد كان إبداء كلام الله بالأمر؛ لأنَّ مقصود الاهتمام بما بعد فعل الأمر.

ب– الاستدلال بدليل العقل لإقامة الحجة على الكافرين في إثبات التوحيد وإبطال الشرك. قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ ﴾ (الأنعام:١٤). قال ابن عاشور في تفسيره: "هذا استدلالٌ على المشركين بما هو مسلَّمٌ عندهم؛ لأنهم يعترفون بأن الرزاق هو الله وهو خالق المخلوقات، وإنما جعلوا الآلهة الأخرى شركاء في استحقاق العبادة. وقد كثر الاحتجاج على

[١] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**:٦/١٣.

[٢] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**٧/١١٤.

[٣] ابن عاشور. **التحرير والتنوير**٦/١٦٩.

المشركين في القرآن بمثل هذا، كقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ (واقعة:٦٣-٦٤). أما وقوله: ﴿لاَ يُطْعَمُ﴾ فتكميلٌ دالٌ على الغنى المطلق" [١].

ج- استدل بدليل الوحي الإلهي، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام:١٤). في هذه الآية استدلالٌ بدلالة الوحي الذي فيه الأمر باتباع دين الإسلام وما بني عليه اسم الإسلام من صرف الوجه إلى الله، فهذا إبطال لطعنهم في الدين الذي جاء به المسمى بالإسلام، شعاره كلمة التوحيد المبطلة للإشراك.[٢]

ويرى ابن عاشور أن الاستدلال بدليل الوحي يأتي بعده استدلالٌ بدليل العقل؛ فالاستئناف في الآية السابقة هو استئنافٌ مكرّرٌ لأسلوب الاستئناف الذي قبله. ومثار الاستئنافين واحدٌ، ولكن الغرض منهما مختلفٌ؛ لأنّ ما قبله يحومُ حول الاستدلال بدلالة العقل على إبطال الشرك، وهذا استدلالٌ بدلالة الوحي"[٣]

الطريقة الثانية: منهج التبيين: قال تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (الأنعام:١٥٠). انتقل ابن عاشور من منهج الجدل والمناظرة في إبطال الشرك إلى إبطاله بطريقة التبيين[٤]، قال: "لما أبطل الله تعالى جميع أنواع حجج الكفار، بيَّن أنه ليس لهم على قولهم شهود؛ لأن المشركين حرموا ما ليس بمحرم مما حرمه الله، وقال الله لرسوله قل للمشركين أن يحضروا من يشهد لهم على تحريم ما حرموه. وهذه الآية أمر بالتعجيز إذ لا يلقون شهداء يشهدون أن الله حرم ما نسبوا إليه تحريمه من شؤون دينهم كما ذكر سابقًا؛ لأن شأن المحقّ أن يكون له شهداء يعلمهم فيحضرهم إذا دعي إلى

---

[١] ابن عاشور. **التحرير والتنوير**:٦/٣٨.

[٢] ابن عاشور. **التحرير والتنوير**:٦/٣٨-٣٩.

[٣] ابن عاشور. **التحرير والتنوير**:٦/٣٨٩.

[٤] ابن عاشور. **التحرير والتنوير**:٧/١١٤.

إحقاق حقه وذلك تمهيد لتعجيزهم البيِّن إذ لم يحضروهم، فهو يعلم أن ليس ثمة شهداء. وبيّن ابن عاشور في هذه المرحلة أن الله أمر الرسول ﷺ بأن يقول لهم ما يظهر كذب دعواهم، وأن المشركين يكذبون آيات الله ومن عدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير، لأنه لو اتبع الدليل لم يكن إلا مصدقًا بالآيات موحدًا للّه تعالى، فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم؛ لأنه إذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدًا منهم.

الطريقة الثالثة: منهج إعلان أصول الدين: ويكون الفرق بين هذه المرحلة ومرحلة التبيين أن في هذا المرحلة غلقًا لباب المجادلة مع المعرضين، وفي النهاية انتقلت دعوة الرسول من المجادلة مع المعرضين إلى الأشياء التي تعلن أصول الدين وتكرر الأمر بالقول ثلاث مرات[١]، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾ (الأنعام، الآية: ١٦١ حتى ١٦٣). "وحاصل ما تتضمنه الآية: إخلاص لله في العبادة، شكر لله على نعمة الهداية، وينكر أن يعبد غير الله تعالى"[٢].

الخاتمة

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث ما يلي:

أولًا: اعتماد ابن عاشور في "التحرير والتنوير" على التفسير بالمنقول (المأثور)، وعلى التفسير بالمعقول (الرأي).

ثانيًا: بيان المنهج الابداعي لابن عاشور في سورة الأنعام، وبأنّه قد اهتم فيها بتفسير القرآن بالقرآن، كمكون رئيسي على أساس مصادره في هذه السورة.

ثالثًا: إظهار مهارة ابن عاشور، وتبحّره في اللغة، وهذا بارز من تحاليله اللغوية الدقيقة، واجتهاداته وترجيحاته القيمة في تفسير سورة الأنعام.

---

[١] ابن عاشور. **التحريروالتنوير**:١٤٧/٧-١٤٦

[٢] ابن عاشور. **التحريروالتنوير**:١٤٩/٧.

رابعاً: الإشارة إلى حرص ابن عاشور بالاستشهاد بالأحاديث النبوية الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ.

خامسًا: إثبات أهمية الحوار والجدل في الدعوة إلى الإسلام، وأن الحوار كان من أبرز الأساليب القرآنية في الإقناع، والتاثير، ووسيلة من وسائل الدعوة إلى الله.

سادسًا: بيان أنّ المنهج الشرعي الذي انتهجه ابن عاشور في مخاطبة المشركين يتضمّن التوحيد، والمعاد، والنبوة.

سابعًا: ذكر أنّ ابن عاشور اعتمد في منهج الدعوة على الاستدلال مع الجدل، والمناظرة، وكذلك منهج التبيين، ومنهج إعلان أصول الدين. وقدكانت نظرية ابن عاشور في الحوار من خلال هذه السورة "التدرج" التي تشتمل المقومات الأعلى.

ثامنًا: إثبات أن ابن عاشور بنى عقائد الإسلام على الفطرة، والسماحة، والحرية والحق.

عاشرًا: أنّ الأحكام التي تضمنت آيات العقيده في هذه السورة جاءت لإصلاح الحالة الاجتماعية العامة بين الناس، وحفظ نظام التعامل بين الناس، واتباع طريق الإسلام، وتجنب من الخروج عنه إلى سبيل الضلال.

المصادر والمراجع

الأصفهاني، الراغب أبي القاسم الحسين بن محمد (د.ت) المفردات في غريب القرآن. تحقيق محمد سيد كيلاني. (د.ط). بيروت: دار المعرفة.

البيضاوي، ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن الشيرازي. ((١٤٢٢هـ/٢٠٠٣م).) تفسير بيضاوي. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن تيمية. (١٤١١).رسالة الفرقان بين الحق والباطل. ضمن مجموعة الرسائل الكبرى. تحقيق: الشيخ حسن غزال. (ط٤). بيروت: دا إحياء العلوم.

الجرمى، إبراهيم محمد. (١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م). معجم علوم القرآن. دمشق: دارالقلم

الجوزية، محمد بن أبي بكر بن قيم. (١٤١٦هـ). التبيان في أقسام القرآن. التحقيق: عصام الحرساني، تخريج: محمد الزغلي. القاهرة: مؤسسة الرسالة.

ابن داوود، منى بنت عبدالله حسن. (١٤١٩هـ/١٩٩٨م).منهج الدعوة إلى العقيدة في ضوء القصص القرآني. (ط١). بيروت: دار ابن حزم.

الرازي، فخر الدين بن علامه ضياء الين عمر. (١٤١٥هـ/١٩٩٥م). التفسير الكبير. بيروت: دار إحياء التراث الغربي.

سيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر. (د.ت). تفسيرالجلالين. القاهرة: دار الحديث.

الشنقيطي، محمد الامين. (١٤١٥هـ). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآنمكتبة (د.ط). القاهرة: ابن تيمية.

شوكاني، محمد بن علي. (د.ط). فتح القدير. (د.ط). د.ن:د.م.

الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد. ١٤٢١هـ/٢٠٠١م). مسند الإمام أحمد بن حنبل. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الشيباني، أحمد بن حنبل أبو عبدالله.(د.ت) مسند الإمام أحمد بن حنبل. (د.ط)، القاهرة: مؤسسة قرطبة.

صقر، أحمد نبيل. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). منهج ابن عاشور في التفسير. القاهرة: الدار المصرية.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبوجعفر. (١٤٢٠٨/٢٠٠٠م).جامع البيان في تأويل القرآن. د.ن: مؤسسة الرسالة.

ابن عاشور محمد الطاهر.(١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). النظام الإجتماعي في الإسلام. القاهرة: دار السلام.

ابن عاشور. محمد الطاهر. (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) التحرير والتنوير. بيروت: مؤسسة التاريخ.

ابن عاشور، الامام الشيخ محمد الطاهر. (١٩٩٧م). تفسير التحرير والتنوير. (د.ط). تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع.

ابن عاشور، محمد الطاهر. مقاصد الشريعة الإسلامية. (١٤١٨هـ/١٩٩٨م). تحقيق: محمد الطاهر الميساوي. د.م: د.ن.

ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٩٨). أليس الصبح بقريب. (د.ط). تونس: الشركة التونسية لفنون الرسم.

عبد الرحيم، حسن عبد الجليل. (٢٠٠٥). منهج ابن عاشور في الاحتجاج بالقراءات القرآنية. مجلة جامعة دمشق الاقتصادية والقانونية، المجلد٢١، العدد الأول، قسم القراءات القرآنية كلية أصول الدين الجامعية جامعة البلقاء التطبيقية الأردن.

القرطبي، محمد بن أحمد أبو عبدالله. (١٩٨٧م). الجامع لأحكام القرآن. (ط٣). القاهرة: د.م.

القشيري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن. (د.ت). المسند الصحيح. التحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط) بيروت: دار إحياء التراث العربي.

قطب، سيد. (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).في ظلال القرآن. (ط١١). بيروت: دار الشروق. ١٢٢٩/٣ — ١٢٣١.

ابن قيم، الجوزية محمد بن أبي بكر (١٤١٤هـ/١٩٩٣م) بدائع التفسير. الدمام: دار ابن الجوزي.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م). تفسير القرآن العظيم. (ط١). تحقيق: مصطفى السيّد محمد، وآخ. المملكة العربية السعودية: دار عالم الكتب.

الكرماني، أبي عبدالله محمد بن أبي نصر. (١٤٢٢هـ،٢٠٠١م). شواذ القراءات.

اللوح، عبد السلام حمدان. (٢٠٠٤). وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي، (مجلة الجامعة الإسلامية،سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد ١٢، العدد١.

المحتسب، عبدالمجيد عبد السلام. (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م). اتجاهات التفسير في العصر الراهن. (ط٣). عمان–أردن: مكتبة النهضة الإسلامية.

محمد بن إسماعيل أبو عبد الله. (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م). صحيح البخاري. (ط٣). دمشق: دار ابن كثير.

محمد، نعمان حسين. (٢٠١٤م). الاتجاه اللغوي في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور. مجلة القسم العربي جامعة بنجاب، لاهور — باكستان. ع٢١.

مسلم بن حجاج أبو الحسين. (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م). صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. (د.ط). بيروت: دار الفكر.

مصطفى إبراهيم وأصحابه. (١٤٠٠). المعجم الوسيط. (د.ط). مجمع اللغة العربية بمصر: دار المعارف

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرك الإفريقي المصري. (١٤١٢) لسان العرب: بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم. (د.ت) . لسان العرب. تحقيق: عبدالله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي. (د.ط). القاهرة: دار المعارف.

الميس، الشيخ خليل. (د.ت). تفسير ابن كثير. (د.ط). بيروت: دار القلم.

نبيل، أحمد صقر. (١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م). منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير، (ط١). القاهرة: الدار المصرية.

يعقوب، طاهر محمود محمد. (١٤٢٥هـ). أسباب الخطأ في التفسير. المملكة العربية السعودية: دار ابن جوزي.